الحكاية الشعبية من وجهة نظر أنثربولوجية
حكاية " الفلاح و الريش " نموذجا

أ.د. مصطفى أوشاطر
الطالبة: شعبان فتيحة
جامعة تلمسان

مقدمة :

يقودنا الحديث عن الحكاية الشعبية إلى التفريق بين أنواع القصص الشعبي المختلفة ، و التي يمكن أن تصنف بشكل تقريبي إلى ثلاثة أنواع هي : الأسطورة و الحكاية الخرافية و الحكاية الشعبية .

احتلت الأنواع الثلاثة مكانة متميزة داخل التراث الشعبي للأمم ، باعتبارها وسيلة تعبير لنقل أفكار الإنسان و معتقداته وفلسفته في غلاف من التسلية و التشويق ، تناقلتها الأجيال مشافهة بدون أن يعرف لها مصدر ، هي باختصار شديد من أقدر الأنواع الأدبية الشعبية على تمثيل جانب من ثقافة الشعب و حياته الروحية ، كما أنها من ألمع الصور المعبرة عن عاداته و تقاليده و من أحسن المرايا التي تعكس ما يخطر بباله من خيالات جامحة و طموحات مستقبلية ، فضلا عما تحمله من لمحات تاريخية لها دلالتها الخاصة ، بإيجاز شديد هي من كنوز المعرفة التي لا تقدر بثمن ، لذلك حظيت هذه الأنواع و لا زالت تحظى بالدراسة والتحليل من قبل الباحثين في مختلف التخصصات لما لها من أهمية في معرفة شخصية الإنسان هوية و لغة و ثقافة و دينا و انتماء ...

و بما أن الحكاية الشعبية تحكي و تصور الكثير من العادات و التقاليد و القيم و المعتقدات و أساليب الطعام و الضيافة و الجلوس و الحركة الاجتماعية للعصر الذي ظهرت فيه ، فقد أصبحت جزءا من اهتمامات كثير من العلوم الإنسانية و الاجتماعية منها تحديدا علم الأنثربولوجيا و هو العلم الذي يعنى بدراسة الإنسان في مجمله و تنوعه ، و دراسة أعماله و إبداعاته الفنية و الروحية ، كما يشمل موضوع بحثه جميع ظواهر الحياة الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية و السياسية من غير تحديد الزمان و المكان .

ضمن هذا المنظور يسعى هذا المقال إلى قراءة الحكاية الشعبية الموسومة : "حكاية الفلاح و الريش " قراءة أنثربولوجية أملا في كشف ما وراء رموزها من حقائق باطنية تتصل بقضايا الإنسان في وجوده المجتمعي ، فالقراءة الأنثربولوجية هي قراءة شاملة تعنى بدراسة الإنسان من كل جوانبه و أبعاده بهدف فهمه بشكل متكامل و مترابط و فهم حياته في الماضي و الحاضر و هذا ما يفسر لنا إلحاح المفكر الجزائري محمد أركون على دراسة الأنثربولوجيا و تدريسها ، فالعلم الأنثربولوجي من منظور هذا المفكر : " هو الذي يخرج العقل من التفكير داخل " السياج الدوغماتي المغلق " إلى التفكير على مستوى أوسع بكثير : أي على مستوى مصالح الإنسان ، أي إنسان كان في كل مكان . كما أن العلم الأنثربولوجي يعلمنا كيفية التعامل مع الثقافات الأخرى يرح منفتحة متفهمة ، و ضرورة تفضيل المعنى على القوة أو السلطة ، ثم تفضيل السلم على العنف ، و المعرفة المنيرة على الجهل المؤسس أو المؤسساتي " [1] .

و يضيف المفكر الجزائري إلى هذه الوظائف المنوطة بالعلم الأنثربولوجي أنه : " يمارس عمله كنقد تفكيكي ، و على صعيد معرفي ، لجميع الثقافات البشرية المعروفة ، إنه يمارس عمله هذا بعيدا عن التأويلات التاريخية الإديديولوجية " [2] .

1- تمهيد : المنظورالأنثربولوجي للحكاية الشعبية:

توصف الحكاية الشعبية من المنظور الأنثربولوجي بأنها : " شكل قصصي يتخذ مادته من الواقع النفسي و الاجتماعي الذي يعيشه الشعب " [3]. و هي بهذا الوصف تجمع بين أمرين مهمين هما الإنسان و واقعه النفسي و الاجتماعي .

و نظرا لأهمية هذا الحدث الذي تهتم الحكاية الشعبية بمعالجته فقد جعله الباحثون المهتمون في الحقل الأنثربولوجي على مستوى العالم ركنا أساسيا في تمييز هوية الأفراد ليس فقط على صعيد الإنتاج الثقافي العام ، بل أيضا و بشكل أقوى على مستوى البنية الثقافية التقليدية التي تترجم قناعة و سلوكيات الناس في تجاربهم ويوميات معيشتهم و تأملاتهم في القضايا التي تشغلهم مادية كانت أو معنوية ، كما جعلوه معيارا بارزا في التفريق بين الحكاية الشعبية و الأسطورة و الحكاية الخرافية .

و لذلك فإن ما يميز الحكاية الشعبية عن الأسطورة و الحكاية الخرافية هو : " اهتمامها بالحدث الذي يهم الشعب بوصفه وحدة واحدة،سواء تمثلت الشعبية في نطاق ضيق كالأسرة أو القبيلة، أو في نطاق واسع يشمل الشعب بإسره " [4] .

إن مجال الاهتمام هو الذي يحدد معالم الحكاية الشعبية ، ومن منظوره تتعدد و تتنوع مواضيعها ، فمنها حكايات الحيوان ، والحكايات الهزلية وحكايات الألغاز و حكايات الواقع الاجتماعي والأخلاقي والسياسي و الديني ...

إن الحضور القوي لهذه المواضيع في الحكاية الشعبية أدى بالباحثين في حقل الأنثربولوجيا إلى التأكيد على ضرورة الجمع بين التحليل النفسي والتحليل السوسيولوجي للحكاية ، إذ من دون جمعهما يظل كل واحد منهما و هو منفصل عن الآخر قاصرا عن فهم الحكاية الشعبية فهما علميا بناء .

أما الهدف الأساسي من الجمع بين التحليلين فهو الذي يقود إلى القراءة الأنثربولوجية و هذا ما عبر عنه محمد جويلي بقوله : "إن التحليل النفسي والتحليل السوسيولوجي لا يجتمعان كأحسن ما يكون الاجتماع إلا في الأنثربولوجيا "[5].

ثم يواصل قائلا : "فالأنثربولوجيا هي التي تمكن التحليلين من أن يخضع كل واحد منهما للآخر و يتحدا لمواجهة معضلة الإنسان وإبداعاته المعقدة التي يتداخل فيها ما هو خاص بالفرد وحده و ما يجمعه بالآخرين ".

يبدو من خلال هذا التوجه أن القراءة الأنثريولوجسة للحكاية الشعبية هي تحليل نفسي و أن التحليل النفسي هو أنثربولوجيا و كلاهما لا يمكن أن يكون كذلك على حد اعتقاد محمد الجويلي لو لم يكن في نفس القدر سوسيولوجيا .[6]

إن التعامل مع الحكاية الشعبية تعاملا أنثربولوجيا يأخذ بعين الاعتبار أولا طبيعة الموضوع بوصفه واقعة أدبية ، و ثانيا بوصفه ظاهرة اجتماعية ذات وظيفة معرفية ، بمعنى أن الحكاية الشعبية هي نتاج لسياق ثقافي عام .

إن هذا المنظور الذي تجسده الحكاية الشعبية هو الذي حفزني لاختيار القراءة الأنثربولوجية لحكاية " الفلاح و الريش " التي استمعت إليها ودونتها من الراوي محمد شعبان البالغ من العمر تسعين سنة الساكن بمنطقة سبدو، التابعة إداريا لولاية تلمسان و الواقعة جغرافيا بأقصى الغرب الجزائري ، و كان ذلك بتاريخ جوان 2009.

2- نص الحكاية كما رواها الراوي :

- كانْ فْلاّحْ فْالرُّكْنْ حْزِينْ يخمّمْ ويْقولْ يا ربِّ عِينْ
- دَاوِي هَاذْ لَرْضْ يَا لْحْنِينْ سمَعْ مْنّا نتَيَا لعْظِيمْ
- جَا عنْدَهْ صاحبَهْ يْوَاسيهْ وقَال لَه يا صَاحبي مَالكْ حْزِينْ
- وْكل أمْرْكْ للّه لْعْظِيمْ و اطلُب رَبِّ هوَ لحْنِينْ
- ثَارْ عْلِيهْ الفلاّحْ بْكْلامْ شْينْ وْقَالْ لَهْ رَانِي عَارْفْ رَبِّ حْنِينْ

- مْشَى صَاحْبَهْ كارَهْ و زَعْفَانْ وْ قَالْ رَبّ اغْفَرْ لَهْ يَا عْظِيمْ الشَّانْ
- ندْمْ الفلاّحْ عْلَى ما قالْوْ قالْ اللهْ يْنعْلْك ْيا الشِّيطَانْ
- مشَى عْنْدْ شِيخْ لْقْبِيلَة يْشْكِي وحْكى لْهْ عْلى لْكْلامْ القْبيحْ وْ هُوَ يْبكي
- قال لَه يَا شِيخ ْراني نَادمْ زَعّفْتْ صاحْبِي بْزْرْدَة كلايْمْ
- كِيفَاشْ نْرْضِي هَاذْ لْبْنَادمْ الشيطَان لِينَا دِيمَ خايْنْ
- قَال لَهْ الشّيخْ اسْمعْ لِيَّا امْشِي صْحِيحْ لا تْعْثَرْ لا تْطيحْ
- اللي طْلبْ يطلبْ اللهْ هوَ كريمْ لمعاطي
- العَبد ْشنو قدْرَهْ لا يشيّعك ْلا يوَاطي
- اللي توْكلْ على اللهْ شرى العْزّْ وْ الذّلّْ باعهْ
- وْ اللي توْكلْ على النّاس ْ وْكِيلهْ هو َذراعه
- إلى تخَلّطْتْ لذْيانْ شدّْ في دِينكْ
- وْ إلى لسانكْ صنتو صانكْ وْ ما خانكْ
- روحْ اجمعْ رِيشْ الدّيكْ وْ حطّْ قدّامْ كلّْ بابْ يليكْ
- وْ رْوَاحْ عَنْدي قْعُد ْسَاعَة أوْلّيّاجمَعْ الرّيشْ
- طبقْ الفلاّحْ وَاش ْقالو و ْمْشى يْجْمَعْ الرِّيش ْفِي حالُو
- صَابْ الرِّيشْ الدّاهْ الرِّيحْ وْلّى للشّيخْ وْ هُو َيْصيحْ
- قَالْ لهْ الشيخ، ْكْلامْ عْلَى كْلامْ و ْالكلامْ عْلَى سْقِيلَة
- السّنّْ بْالسنْ وْ الكلام ْلقبيحْ ذْليلَة
- شِي مْنْ الْكْلامْ عْسْلْ وْقْرُنْفُلْ وْشِي مْنْ الْكْلام ْحَارْ كي لْفْلْفلْ
- اللوْلْ عْلا وْ صاحْ وْ الزّاوْجْ هْوّدْ وْطاحْ
- و إلى خرْجْ ما يوْلّي وْ إلى بنى مَا يعلّي

3 – السياق الذي تم فيه الحكي :

يمكن تصنيف الراوي محمد شعبان – راوي هذه الحكاية – ضمن نمط الرواة الذين يلتزمون بنصوص الروايات التي يحفظونها التزاما صارما ، فلقد لاحظت و هو يحكي الحكاية بأنه يحكيها بنفس نصها كلمة كلمة كما سمعها ممن قبله ، بحيث تستشعر منه حرصا بالغا يصل إلى درجة تقديس الكلمات ، فإذا أحس بأنه أخطأ أو التبس عليه الأمر توقف ، و أعمل ذاكرته ، و استعاد السياق ، و بدأ يصحح الخطأ و يواصل الحكاية من جديد ، و هذا الطراز من الرواة : " هو الذي يذكرنا بجملة "هوفمان كراير" الشهيرة : إن الشعب لا يبدع جديدا ، و إنما ينسخ فقط " [7] .

إن هذا الطراز من الرواة هو الذي أشارت إليه الدراسات التي اهتمت بدراسة الحكايات الشعبية مستلهمة مما قاله الأخوان يعقوب و فيلهلم جريم في حديثهما عن السيدة " فيهمان " ، و هي من الرواة الرئيسيين لمجموعتهما "حكايات الأطفال و البيت " حيث يقولان : " لقد كانت هذه السيدة تحتفظ في ذاكرتها بحكايات كثيرة ، و هي موهبة كما تقول لا تمنح لكل إنسان ، بل إن بعض الأفراد لا يمتلكونها على الإطلاق ، ومن ثم تقص " فيهمان " حكايتها في حذر و ثقة وحيوية

على الإطلاق ، بل إنها تستمتع بما تقصه ، و طريقتها أن تسترسل في الحكاية في حرية ثم تحكيها مرة أخرى إذا شاء المستمع ذلك حتى يتمكن مع شيء من المران من أن يستملي منها الحكاية ..." [8]

هناك جو طقوسي أحاط بعملية سرد الحكاية ، و معايشتي له أثناء رواية الحكاية ، جعلني أعيشه بكل جوارحي ، وأشعر بتلك القداسة التي تضفى على راوي الحكاية . فالراوي هنا هو جد الجميع ، وهو أب للجميع ، ويحترمه الجميع...يطلق عليه محليا اسم « القوال » .

و كلمة " القوال " لها دلالة خاصة لدى سكان المنطقة ، فهي تطلق على الشخص الذي يجيد فن القول في الأماكن العامة ، و هي خاصية تمنح صاحبها مكانة مميزة في المجتمع الذي ينتمي إليه و تؤهله لينظر إليه نظرة الحكيم ، القادر على ابتداع فن القول السديد ، للتعبير عن الواقع المعاش و تصوير مظاهر الحياة الاجتماعية التي تسود المنطقة ، بأسلوب ذاتي ، نابع من التلقائية و العفوية في الأداء للتأثير في السامع .

تجدر الإشارة إلى أن نجاح الحكاية يتوقف على راويها الذي من الواجب أن يتوفر على شروط هي في الحقيقة فنيات لعملية الروي ، وكما يقول عبد الحميد بورايو : " فالراوي قبل أن يروي شيئا يجب أن يكون ممتلكا لما يمكن أن نسميه الملكة الروائية ، و نعني بذلك إجمالا المعرفة الضمنية للنموذج الروائي " [9] .

وعن دور امتلاك الرواة للملكة الروائية ، يقول : " الرواة في رحلتهم مع الرواية يتفاوتون فيما بينهم فيما يخص اتساع حصيلتهم من التراث القصصي ، ومواهبهم الفيزيولوجية التي تتعلق بالهيئة و الصوت و ملامح الوجه ، و بسيطرتهم على أدواتهم الفنية في عملية القص ، و قوة ذاكرتهم و قدرتهم و جرأتهم على الخلق و الإبداع و التجديد ، و تلعب كل هذه القدرات في جذب انتباه الجماعة و دمجها في الجو الذي تخلقه القصة " [10] .

و من الطقوس التقليدية الشائعة في المنطقة أن مثل هذه الحكايات الشعبية كانت ترويها الجدات ،حيث ينصحن بعدم تداول الحكاية في النهار بحجة أن من تداولها نهارا يصاب بمرض الجرب ، و تحتفظ الذاكرة الشعبية بالشروط التي يجب توفرها عند روي الجدة للحكاية و منها أن تجلس هي وأحفادها في حلقة حول الموقد أو الكانون الذي يوضع فيه الجمر في وسط المنزل أو وسط الخيمة ، والموعد هو الليل ، وكأن الليل هو مُستودع الحكايات ، فلا تظهر إلا فيه ، حيث تقوم بمُسامرة أحفادها وكل من يستمع إليها ، تبعث فيهم المتعة والإفادة في آن واحد ، وبقدرتها الفنية الإبداعية تُحول الروي والسرد إلى لُعبة مشوقة ، يتعاطاها طرفان : طرف يتكلم ويتحرك ويومئ ويقلد وأحيانا يغني ، وأمامه طرف ثان يُنصت و يتعجب ، ويقترب ويبتعد ويندمج ، حينها تشحنُ مُخيلته وعقله بفطنتها الفطرية العفوية ، وبلغتها العامية البسيطة ، لتبلغ فكرتها وهدفها الوعظي الإرشادي ، الذي من شأنه ضبط سلوك الأفراد داخل المجتمع بما يتماشى و الأعراف السائدة و الحفاظ على تماسك المجتمع و ضمان استمراريته ،

و هنا تكمن أهمية دراسة الحكاية الشعبية من الناحية النظرية في كون أنها جزء من التراث العالمي للبشرية و أنها وسيلة قوية لمعرفة صفات الشعوب و عاداتها و تقاليدها و معتقداتها ، كما أنها تأكيد لهوية كل مجتمع من المجتمعات ، أما من الناحية العملية فتكمن في كثرة الاهتمامات العالمية و الدولية و المحلية لجمع التراث الشعبي للشعوب بكل أصنافه و الاهتمام به و دراسته و الاستفادة منه لما تحمله من رسالة علمية و تهذيبية و أخلاقية .

3 – القراءة الأنثربولوجية للحكاية :

تنقلنا هذه الحكاية إلى عالمين : عالم محلي و عالم إنساني ، فمن خلال القراءة و التأويل يتجلى العالم المحلي من خلال البيئة الزراعية ، فمنذ البداية نفهم بأن الفضاء الذي نتواجد فيه هو فضاء ريفي و بدوي و هذا ما نفهمه من خلال افتتاحية

الحكاية : " كان فلاح حزين " و هذا الحزن ناتج عما أصاب أرضه من خسارة أدت إلى ضياع ما كان ينتظره من محاصيل زراعية ، و ما شكواه إلى الله للتدخل من أجل إنقاذ الموقف إلا دليل على الكارثة التي حلت بأرضه التي هي مصدر عيشه وحياتها .

و على الرغم من أن الفلاح لم يفصح عن سبب الخسارة ، إلا أنه في مثل هذه الحالة غالبا ما تتعلق بجدب الأرض لقلة المطر و هي إشارة ضمنية إلى أهمية الماء كمادة أساسية للحياة و كرمز للخصوبة ، فالماء هو من بين الرموز الثقافية التي يستعملها الإنسان في التواصل مع أفراد الجماعة و مع العالم غير المنظور ، فهو كما عبر عنه محمد مرتاض : " الإيماء ، أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى على أدائها اللغة في دلالتها العضوية"[11]

يحيلنا الرمز إلى قراءة و تأمل ما وراء النص ، أي التطلع إلى معرفة المعنى الخفي ، و يزيد الرمز اللغة إيحاء و مجالا للتعبير ، و يحتاج للعقل الناقد للوصول إليه .

و بما أن الإنسان لا يمكنه أن يعيش منعزلا عن غيره ، فقد تدخلت شخصية الصديق للمواساة ، ثم شخصية شيخ القبيلة لتقديم النصح و الإرشاد و عدم الرضوخ للشيطان الذي يدفع بالإنسان إلى ارتكاب الآثام ، مع استخدام للرمز و الخيال لتجسيد الفكرة المراد تبليغها ممثلة في ريش طائر الديك ، لتنتهي الحكاية بالتأكيد على أهمية الكلمة الطيبة ، و الرضى بقضاء الله و قدره ، و هذا ما يجسد البعد الإنساني للحكاية الشعبية .

أ – البعد المحلي للحكاية :

يتجلى العالم المحلي في العلاقة الوطيدة التي تربط الفلاح بالأرض و هي علاقة خدمة وعبادة و تقديس .

فخدمة الأرض هي عبادة ، فمن خدمها أطاع الله ، و من تركاها فقد عصاه ، و هذا البعد هو بعد ديني أقرته الديانات السماوية و التي منها الدين الإسلامي الذي نجده يحث على خدمة الأرض و عدم تركها للضياع 12 .

الأرض في بعدها الديني الإسلامي هي جزء من المنظومة الكونية التي وضعها سبحانه للأنام في قوله (وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ)(الرحمن:10)، والتي حظيت بالعناية والبركة الإلهية (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ)(فصلت:10)، والأرض هي ميدان عمل الإنسان وممارسة دوره فيها ، وهي التي جعلنا الله مستخلفين فيها وأمرنا بإعمارها (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيها (هود:61) .

وبين الإنسان والأرض علاقة وثيقة فهي بمثابة أمه التي خرج من بطنها ، وخلق الله سبحانه مكونات جسمه من مكوناتها (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى) (طه:55) وهي الوعاء الذي يحتضن جميع الأجسام (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاناً) (المرسلات:25)، (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً) (نوح:17) وهذا يعني أن على الإنسان أن يتعامل معها بكل محبة واحترام ويتعاطى مع المخلوقات الأخرى التي تعيش فوقها بكل عناية ورفق ويشعر بالمسئولية تجاهها فهي المكان الذي أنشأه الله منه وجعله خليفة له فيها لإعمارها وليس لتدميرها (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ) (الأنعام:165)

يمتزج البعد الديني مع البعد الأسطوري في النظر إلى الأرض ، فالاعتقاد السائد لدى سكان الأرياف عامة و الفلاحين خاصة بأن الأرض هي أم البشر الأولى و مصدر باقي الكائنات الأخرى ، فمن رحمها خرج سكان الأرض الأولون ليروا النور على وجهها ، و لذلك فإن السوار الأسطوري الذي يحيط بها هو التقديس لكونها مصدر الخصوبة الأبدية و العطاء المستمر ، فالأرض هي الأم الأولى للبشر و تتعادل معها من حيث الإنجاب .

و من جملة الأساطير المتعلقة بعبادة الأرض ، و التي اندثرت ، و لكن بقي جانب من طقوسها في عادات الفلاحين بالأرياف الجزائرية ، ما يدل عليه هذا المثل الشعبي من قولهم : " اللي ايعادي الأرض ايعادي ربي " .

لقد قدست الشعوب القديمة الأرض لما ساد لديهم من اعتقاد بأنها هي أم المخلوقات كلها ، فمن رحمها خرجت الحياة ، و من باطنها تتغذى المخلوقات ، و إليها تكون العودة بعد الممات ...

و من بقايا تقديس الأرض في تراثنا الشعبي الجزائري كذلك الاعتقاد السائد لدى أهل الريف الذي نسقته تحذيرات العجائز للأطفال إذا ضربوا الأرض بقوة في هذا المأثور بقولهن : " لا تفعلوا هكذا ، إنها ستعاقبكم عندما ستعودون إليها " ، و لهذا التحذير بعد ديني ، حيث يسود الاعتقاد بأن البشر خلقوا من الطين و إليه يرجعون .

ب – البعد الإنساني للحكاية :

عادة ما يتولد الشعور بالحزن نتيجة الخسارة بأشكالها المتنوعة مثل وفاة أحد الأفراد المقربين أو نهاية علاقة ما أو فقدان وظيفة ، أو حدوث كارثة طبيعية ويعرف الحزن بأنه تجربة شخصية ولكل شخص الحق في أن يعبر عن حزنه على طريقته الخاصة ، والخسارة التي قد تبدو بسيطة لشخص ما قد تكون مؤلمة وتتسبب في الكثير من الحزن لشخص آخر ، وهناك عدة عوامل تؤثر في درجة الشعور بالحزن منها طبيعة شخصية الفرد والخسائر السابقة وطبيعة الخسارة التي تتسبب في الحزن فضلا عن الدعم الذي يتلقاه الفرد أثناء شعوره بالحزن.

إن شعور الفلاح بالحزن نتيجة الخسارة التي حلت بالأرض جعلته يعبر عنه بطريقته الخاصة حيث تملكه الغضب و سيطر عليه و لم يستطع أن يتقبل النصيحة من قبل صديقه الذي جاء مواسيا لما حل به و كان رده عليه عنيفا و هنا تنتقل بنا الحكاية من العالم المحلي إلى العالم الإنساني من خلال تدخل شخصية الصديق و الشيطان و شيخ القبيلة .

لقد أدرك الفلاح الخطأ الذي ارتكبه تجاه صديقه و أرجع ذلك إلى الشيطان الذي كان السبب في عدم تقبل نصيحة صديقه مما أدى به إلى التوجه إلى شيخ القبيلة لمساعدته على تصحيح ما صدر منه من سلوك تجاه صديقه ، ملتمسا منه النصح و الإرشاد ، ملتزما أن لا يتكرر هذا الفعل مرة أخرى ، و هنا تتجسد الوظيفة الأساسية للحكاية الشعبية و هي الوظيفة التعليمية التي ترسم صورة واضحة لما يعتبره المجتمع أخلاقيا محمودا أو مرذولا .

الخاتمة :

تقودنا الخاتمة إلى القول بأن حكاية الفلاح و الريش هي حكاية ذات طابع ديني ، الغرض منها هو :

–التّربية الجمالية التي تسعى إلى خلق الأخوة و زرع المحبة بين الناس كما " تنمّي القدرات الفنية لدى الطّفل في مختلف مجالاته تبعا للفروق :–الفردية و الاستعدادات الشخصيّة " [13]

إذن فالحكاية الشعبية ذات الطابع الديني كما هو الشأن بالنسبة لحكاية :" الفلاح و الريش " و سيلة من وسائل التربيّة الجماليّة و التي تجعل من سلوك الفرد محمودا لا مرذولا و من الطفل جميلا في إحساساته و أفكاره و سلوكه و أخلاقه في جميع شؤونه ممّا ينعكس عليه سعادة و ارتياحا و على المجتمع أمنا و سلاما و وئاما ، فالطّفل حين يتربّى على هذا الجمال بشموله وتكامله فإنّه يضع حياته كلّها بهذا الجمال ، فتراه جميلا في شكله وملبسه و طعامه و شرابه فيحقّق بذلك لنفسه و ممّن يتعايش معهم الرّضا و السّعادة لأنّه عندما يعمل على أن يكون كلّ ما يمارسه جميلا فإنّ ذلك يزكيّ إنسانيّته و فطرته على الخير ،فيما يحقّق تناسقا و تناغما فيما بينه و بين مجتمعه و فيما بنيه و بين الكون ، حيث يسير الجميع إلى الله عابدين و مسلمين و مسبّحين بجلال الله و كماله وجماله على أن يكون ميزان التّربية الجمالية للطّفل منبعها الكتاب والسنّة و الاجتهاد و الحكمة .

فالحكاية ذات الطابع الديني تكون إلى الله قربة و على طريق التربية خطوة، و هي تهذب النّفوس و تنشر الحكمة و الآداب فينشأ جيل ربّاني المنهج ملائكي الخلق يعيش على الأرض و قلبه إلى السّماء يرى نور الله و يسير على هدى من الله.

وواضح من هذه النصائح و التوجيهات أن التراث الشفوي الجزائري يتقاطع ، بل يتطابق أحيانا ، نصا ومعنى ، في جـــزء كبير منه ، مع نظيره في عدد من البلدان العربية الإسلامية ، كنتيجة لتشابه وتلاقح خبراتها التاريخية والمجتمعية ، الأمر الذي يضفي على الحكاية الشعبية أهمية مقارنة تجعلها عاملا محفزا على تكثيف البحث في هذا المتن التراثي الزاخر ، على امتداد العالم العربي الإسلامي ..

الهوامش :

[1]– محمد أركون : القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ، ص 06

[2]– المرجع نقسه ، ص 07

3– عبد الحميد بورايو : القصص الشعبي في منطقة بسكرة * دراسة ميدانية – المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986 ، ص 118

[4]– نبيلة إبراهيم أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، ص 107

[5] – محمد جويلي : أنثربولوجيا الحكاية – دراسة أنثربولوجية في حكايات شعبية تونسية – مطبعة تونس قرطاج ، تونس 2002

[6]– المرجع نفسه ، ص 45

[7]– محمد الجوهري : علم الفولكلور ، ج1 ص 524

[8]– محمد الجوهري : المرجع السابق ص 525

[9]– عبد الحميد بورايو : القصص الشعبي في منطقة بسكرة – المرجع السابق – ص 34

[10]– المرجع نفسه ، ص 35

[11]– محمد مرتاض : من قضايا أدب الأطفال – دراسة تاريخية فنية – ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د ط ، 1994 ، ص 93

[12]– أورد ابن منظور في لسان العرب الأمثال و الأحاديث الشريفة التي تدل على خدمة الأرض ، انظر مادة حيي .

[13]– سيد أحمد طهطاوي، القيم التربوية في القصص القرآني، دار الفكر العربي ط1،1999،ص 65.